الى الفتنة وانتهبت امتعتها وبعث معها باهلها لمراكش وقد قاسى الشيخ احمد بابا في رحلته هذه اتعس الحياة ودقت ساقه ثم رمي في غيابات السجن برهة من الزمن الى ان شملهم العفو العام من لدن جلالة المنصور فسرح الشيخ بابا السوداني على شرط اقامته بمراكش وقد ذهب لمقابلة المنصور وقد كان اتخذ له حجابا وفق الخلافة العباسية فرفض الشيخ بابا محادثته حتى يبرز له وقد تلا على مسامع المنصور « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب » وقال في حماسة موجهاً الخطاب للمنصور : أو تتشبه برب الارباب ؟ ولم يكن للمنصور امام كل ذلك الا ان يتنازل من عليائه لمستوى يتواضع فيه مع الشيخ بابا الذي شرع يناقشه الحساب في فتح السودان وردد عليه هلا فتحت تلمسان وهي اليك اقرب من السودان فاجابه المنصور في وداعة ورعاية امتثالا لقول الرسول ـ اتركك الترك ما تركوكم ـ غير أن الشيخ اشتد غضبه وصار يلد في الخصام الا أن رعاية المنصور شملته وسكنت روعه سيما وهو متأثر من محنته فخرج شاكراً وتصدى للتدريس ونشر العلم في مسجد المواسين ووضعت خزانة الاشراف تحت تصرفه وهرع طلبة العلم للاخذ عنه فانتفع الناس بعلمه وبقي يبث العلم الى ان اذن له في السفر لبلاده في عهد الامير زيدان بعد وفاة المنصور اسبلت عليه سحائب الرحمة .

محمد بن عثمان

مراكش

للشاعر الرقيق سيدي أحمد أبّ حنيني

مراكش بلدة يلقى الغريب بها
ما شاء من بهجة تسلي ومن كرم
ساحاتها الفيح جنات منعمة
وناسها الناس في خلق وفي شيم
راق النخيل ورقّ الساكنون به
فالقلب في طرب والطرف في نعم
حسن وأنس واحسان وفاكهة
تذكي وتروي جميعاً رغبة النهم
احمد ابّ حنيني

في قصور مراكش...

بقلم جناب الكاتب الاستاذ معمري أزواو
رئيس ادارة الصنائع والفنون الوطنية بالمنطقه المراكشية

هذه خمسون سنة أو ما يقرب منها وانى مراكش حيث كان يقيم السلطان مولاي عبد العزيز الذي ألقيت اليه مقاليد المملكة وهو في عنفوان الشباب وزيران اخوان وافق وجودهما انتشار عوامل الضعف في الحياة العامة .

فأي شيء كان يروج في خلدهما اذ ذاك ويخامر نفسيهما ؟ لسنا نعلم شيئاً من هذا وقد تضاربت أقوال المؤرخين الذين حاولوا ان يرسموا لنا صورة مما كان يختلج في صدريهما من عواطف وافكار ، غير أننا نعلم يقيناً أن مُقام هذين الوزيرين بعاصمة المرابطين كان من نتائجه الحسنة أن ظهر تحت سماء مراكش قصران لا تنفصل صورتاهما في الذهن اذ أن تاريخهما واحد ، وهذان القصران وهما الباهية التى ابتناها الوزير العظيم «ابّ حمّاد» ودار «السي سعيد» التي شيدها اخوه «السي سعيد» كما يدل على ذلك اسمها ـ ، هذان القصران القائمان في درب واحد على مقربة من « جامع الفنا » نعتبرهما اليوم من آي الفنون الجميلة الجديرة باستهواء السواح والاخذ بألبابهم .

ان دار « السي سعيد » دار رحبة فسيحة الارجاء شاهقة الجدران تحتوي على خمسين حجرة فأكثر وتتفتح أبوابها الثلاثة الى نواح مختلفة ، وان ارضيتها وحدها تتكون من افنية ثلاثة و«رياض» تربط بينهما دهاليز بهيمة في الشتاء ولكنها ظليلة في الصيف .

فاما الفناء الاول وهو ما يسمى «بدار الزليج» فهو مربع مفروش بحجارة الفسيفساء ذات الالون المتنوعة ،

في هذا الفناء ترى الأروقة العالية المنسجمة الى جانب الابواب المزدانة بشتى الاصباغ والنوافذ المحلاة بشبابيك الحديد التي أحسن صنعها صناع الكف ، وفي وسطه يلوح لك كالزهرة الغضة المتفتحة جرن رخامي متدفق المياه قبالة حوض جميل جداً لا ينقطع له خرير ثم يقع نظرك على حجرات فاخرة قائمة وراء الأروقة ذات سقوف بديعة الزخرفة .

واما الفناء الثاني فهو اصغر من الاول ولا ترى فيه الا حجرتين تقابل احداهما الاخرى وكل ما في هذا الفناء من خشب فهو من عود الارز الذي تفننت في تنميقه يد الرقان .

واذا بلغت الفناء الثالث فانك واجد وسطه صهريجاً على صورة نجمة يترقرق ماؤه وهنا يقع بصرك على أربع حجر تسود فيها البساطة التامة ويخيل اليك اذا نظرت الى أرض هذا الفناء انك تمشي على الرخام وما هو برخام وانما هو طلاء من الجير يلمع فوقها ويخدع الناظر البصير وهذه البساطة تنتظم كذلك الابواب اذ لست ترى عليها الا طلاء ازرق .

ثم تحدوك الخطا فاذا انت بدهليز يقل فيه الضياء شيئاً فشيئاً الى أن يعم الظلام أو يكاد ، أليس من الطبيعي أن يتجنب الانسان الضياء المكل لطرفه في الصيف ؟ ثم تلوي على اليسار ثم تلوي على اليمين فاذا بك ازاء ابواب ما كان يخطر بحسبانك انك ستقف عندها فاذا جزت هذه الابواب فقد بلغت ساحة رحبة جمة الاخضرار والنبات ، هذه الساحة هي « الرياض » وما أظنك كنت تتوقع ان تقع خطاك بهذا المكان الذي تملك عليك بهجته مشاعرك ويرحب بك أحسن ترحيب فما ألذ هذه المفاجأة وما أخفها على النفس ! أما ترى على مقربة منك وفي طوع يدك شجر الليمون الموفر بالجنى المزجي اليك اعذب النفحات ، ان زهر الياسمين ليبعث اليك بعبيره وهو محتجب عن عيانك ، انظر الى هذا النبات الغريب الذي تميل ازهاره البيضاء مع الشمس حيثما مالت كانها كلفة بها والى هذه الورود والازهار التي تكسو الارض فلا تترك فيها عراء ثم اجل نظرك في وسط هذا « الرياض » أما ترى فيه كوخا بعلو صهريجاً أما ترى الواح هذا الكوخ تكاثر الوان الطبيعة الغضة الفتية وشجر السرو يخترق الفضاء المخضر كان به شمماً ، الى هذا الشجر تلجأ البيزان والنرازير وفي غيره تبحث الشحارير والعصافير عن قوت يومها ، وبينما ترى أطياراً ترقص امامك فتنتقل من ايكة الى اخرى في شيء من الطرب والنشاط كثير ترى اطياراً غيرها لا تقل عنها خفة وابتهاجاً تدخل الحجر وتلتقط داخلها الفتات الساقط عن الزرابي .

ان جاذبية هذا المكان لقوية جداً وان جزئية واحدة لتقف نظرك برهة من الزمان وتبعثك على التفكير انظر الى هذه الاصباغ والنقوش التي لا تقيم لها وزنا أول الأمر ألست تراها مذكرة بما رسمته براعة الفرس من تهاويل وارقام ؟ فاذا بحثت في نفسك واردت أن تستكشف ما تهيجه فيها النظرة الشاملة الى هذا المكان من ضروب الاحساسات والعواطف تبين لك ان عالما من الشعر يحيط بك وان لحظة واحدة تقيمها به تستطيع أن تغرقك في ألذ الاحلام ، واذا غادرته وابتعدت شيئاً ما وقعت خطاك بابواب تصل منها بعد شيء من الالتواء الى توابع القصر من مطبخ وحمام ومُراح للخيل وحجر خاصة بالخدم وغيرها.

ولكن لنرجع الى وسط القصر هنا يرى الزائر مرقاة لا يكاد يستجليها النظر لوجود الظلام المخيم بها تبلغك الى الطبقة الاولى وبناء هذه الطبقة مربع اتخذ وسطه شكل

قلنسوة من خشب مثمنة الاضلاع والزوايا ، وعند اول نظرة تلقيها على ما حولك يمتلكك الاعجاب بما يقع عليه بصرك من فنون الزخرفة وحسبك هذه التخاريم التي تنطق على جبس الجدران وحجارة الفسيفساء اللامعة التي تتفتح على وجه الارض ازهاراً ساحرة الالوان ، وحسبك ايضاً هذه الحجرة القائمة على يمينك وهذه الحجرة الاخرى القائمة على يسارك وهذان البهوان المحتويان على وذائل مشرقة تقابل احداها الاخرى وتنعكس فيها جميعاً صور شتى لهذا القصر الباذخ واذا دخلت كبرى هاتين الحجرتين بهرتك عظمتها ونقوشها الفتانة الفاخرة وتلك الاصباغ الجمة الالوان التي تلوح على سقفها شموساً واقماراً ، انظر الى هذه الارائك التي انبسطت عليها الزرابي وكستها المرافق، انها لتمتد طول الجدران وتحيط بها البسط المجلوبة من الرباط وناهيك بهذه البسط التي تزيد الابنية الرائقة رونقا وتكسوها صورة خلابة .

وهناك مرقاة اخرى تبلغك الى الطبقة العليا وهذه الطبقة اتخذت شكل « منزه » مستدير يطل على الفناء الاوسط من نوافذ واسعة فاذا جزت بابا من أبواب المنزه دخلت سطح القصر حيث يقع بصرك على الاطلس المكلل بالثلج والنخل الشديد الاخضرار .

كان الوزير « أبّ حماد » يرمي الى العظمة حين ابتنى الباهية ، وكان الوزير « السي سعيد » يرمي الى الجمال حين شيد قصره ومما شاع على الالسن ان « السي سعيد » كان يحيط بناء هذا القصر بعناية بالغة حتى انه كان يتفقد بنفسه اعمال الخدمة القائمين بتشييده وكان يرسم لهم الخطة التي ينبغي لهم أن يتبعوها وقد حدث له مراراً ان أمر العملة بتدمير ما جادت به قرائحهم من فنون الزخرفة وضروب التنميق رغبة منه فيما هو أجمل وأبهى ، وأية غرابة في هذا أليس « السي سعيد » وزيراً يريد أن يخلع على القصر الذي يحاول أن يتخذه مسكناً له من حلل الزينة والفخار اغناها؟ ومما شاع على الالسن أيضاً ان الوزير أنفق في بناء هذا القصر اموالاً ضخمة وانه مات ولما يتم بناءه على النحو الذي كان يتطلبه ولقد شاع على الالسن أشياء كثيرة غير هذه ، ولا بدع فان لكل قصر من القصور اساطيره المحيطة به العالقة بحياته وسواء اصحت هذه الاخبار أم لم تصح فان هناك حقيقة واقعة الا وهي هذا القصر الذي نستطيع اليوم ان نتملى بهجته ونعجب بروائه ولقد شاءت الظروف ان يحيا هذا القصر حياة حافلة بالحوادث وان تختلف عليه الاجيال ويتوالى عليه النازلون من كبار المخزن الذين احتلوه أول الامر الى رؤساء الناحية الذين كان لهم النفوذ على مراكش ، غير ان هذا القصر الذي يلوح اطاراً رحباً جميلا افتقر ذات يوم الى شيء من الترميم فقامت مصلحة الفنون الجميلة بهذا العمل أحسن قيام ولم يلبث القصر ان استرد صورته القديمة الخلابة وحينئذ تقاطرت عليه البسط والاواني من جميع أقطار المغرب وامتلأ أسلحة وحلياً ثم نشأت بأحد أفنيته على يد جناب باشا مراكش مدرسة للموسيقى واستطعنا ان نقيم حفلات « بدار الزليج » كان للموسيقى العربية والرقص البربري فيها أوفر نصيب وكان يحضر هذه الحفلات طوائف من السواح والطلبة ، بيد اننا كنا قبل اليوم عاجزين عن اشراك بقية سكان المغرب في التمتع بما يحويه جنوب المغرب من نفائس فنية وها نحن اولاء نبتهج الآن بإنشاء محطة لاسلكية بمدينتنا هذه فعسانا نستطيع ان نسد حاجة المتعطشين الى تلك النفائس .

معمري

تصحيح — وقع في العدد الفائت تحريف في اسم صاحب القصيدة المراكشية الشاعر المفلق السيد الحسن البونعماني فكتب غلطا محمد البونعماني فنرجو تصحيحه .